كيف بدأ... وكيف انتهت لعبته؟

من اجل اظهار الحقيقة... هذا تاريخ صدام في القاهرة

سألت الصيدلي الدكتور لويس.. هل كان صدام يتقاضى حبوباً مخدرة؟

شاهد عيان / صائب ادهم

كان يعرف في اوساط الطلبة العراقيين في مصر (جامعتي القاهرة والاسكندرية) ١٩٦٠-١٩٦٢ بـ(الولد) التكريتي الغامض، من هنا وصفه احدهم مازحاً بانه يصعب حتى على (سجموند فرويد) تحليل شخصيته، ويوماً قلت لصاحب هذه (المزحة) لاصعوبة في تحليل شخصية ما اذا ماعرف ماضيها او بعض من فصول هذا الماضي وزواياه، فالقاء ضوء على ظلمات الماضي سيكشف حاضر الشخصية المقصودة ويقودنا الى تحديد واقعها ومعالم حاضرها ومستقبلها..

تلك هي اولى الركائز الفرويدية في علم التحليل السيكولوجي لشخصية ما، وبخاصة ان كانت تصرفات وسلوك هذه الشخصية سلوكاً غير سوي او مثير للتساؤلات وعلامات التعجب والدهشة لكونه سلوكاً لا نمطياً اي غير اعتيادي او متعارف عليه ومتداول بين الناس خاصة الاسوياء منهم..

في عامي ١٩٦١، ١٩٦٢ تعرفت بصدام حسين في القاهرة وظلت علاقتنا هامشية شكلاً ومضموناً، خالية حتى من اواصر الغربة ومشاعرها ومايمكن ان يتمخض عنها من تحالفات واعتزاز بـ(عراقيتنا) كان الوسط الطلابي العراقي والعربي في القاهرة انذاك عبارة عن تجمع قومي وحدوي كاسح في مشاعره ومساحته، صوته واحد غير مجزأ هادر، متسيد يرفض اية نزعة تعارض او تعترض مسيرته التي تسعى بكل طاقاتها الى الوصول للهدف: اقامة مجتمع عربي اشتراكي وحدوي.

لكن (صدام التكريتي) ومعه مجموعة صغيرة ابرزهم عبد الكريم الشيخلي وفاتك الصافي، كان يعمل من خلف الكواليس، برصد حركة المد (الناصري) محاولاً بكل جهده ومكره ان يحقق لنفسه وجماعته وقاعدته الضيقة (المخنوقة) موقعاً متميزاً ولافتاً للنظر والجدل، وسط الخضم القومي وامواجه العالية وريحه العاتية الطاغية.

سألته يوماً: لماذا لاتأتي الى الرابطة –اقصد رابطة الطلاب العراقيين في القاهرة، رد علي بسخرية ماكرة: نعم سنأتي الى الرابطة يوماً.. ويقصد بذلك عند ازاحة اعضاء الهيئة الادارية للرابطة (القوميين العرب) من موقع الهيمنة على كيان الرابطة والتحكم بمسارها.. وفي لقاء اخر معه تم في كافتيريا انديانا الطلابية بمنطقة (الدقي) المتاخمة لجامعة القاهرة سخرت من مواقفه السياسية وقلت له بالحرف الواحد، اخي انك لم تزل (وكرياً).. اي غامضاً و (سرياً) تتحين فرصة لتوجية طعنة مامن الخلف، ووجهت اليه بعد هذا الكلام نصيحة لم يأبه لها: (اخي، مرة اخرى ادعوك الى ان تترك الاوكار، اخرج الى العلن.. ضحك وقال: بعدك ياصائب (مافاهمني..) حكيت للمرحوم فؤاد الركابي مادار في هذا اللقاء، قال: صائب لافائدة من مناقشة (الولد التكريتي) كما تسمونه انتم الطلبة، ان دماغه ناشفة كما يقول الصعايدة المصريون، اؤكد لك انه يخطط في رأسه مالذي سيفعله بكل واحد منا في يوم من الايام ان تسلم السلطة في العراق، واضاف الركابي، لاتستغرب مما اقول، ان صدام هذا مبتلى بداء العظمة والطموح اللامشروع واللااخلاقي..

تذكرت كلام الركابي هذا، عندما اغتاله شقي في سجن بعقوبة بايعاز وتخطيط صدام نفسه، لقد كان بحق مخطط اغتيالات اعمى.

متحجر القلب والضمير..

سؤال مهم..

في القاهرة سألت يوماً د.لويس عزيز (اواخر التسعينيات) وهو صاحب صيدلية كبيرة (سميراميس) في منطقة (الدقي) الشعبية المجاورة لجامعة القاهرة، كان صدام يسكن في عمارة تقع صيدلية د.لويس تحتها في شارع رئيس لاتنقطع فيه الحركة ليل نهار، سألته عن علاقته بـ (صدام)؟ اجابني لاتوجد اية علاقة غير عادية بيني وبينه لكني كنت اتعاطف معه بسبب مشاعر الوحدة والاغتراب التي كانت تلازمه، كنت اضع له كرسياً امام مدخل الصيدلية ليتسلى بمتابعة حركة الشارع و (يبصبص) على النسوان، لينسى معاناته..

واضاف د.لويس، الحقيقة فوجئت حين اصبح هذا الشخص رئيس جمهورية العراق ومشهوراً بين الناس والدول وصار فتى الشاشة الاول في كل التلفزيونات.. واضاف باللهجة المصرية مستغرباً: عجبي، وسألت الدكتور الصيدلي، ترى هل كان صدام يتعاطى الحبوب (اياها)، يحصل عليها من صيدليتك؟ قال: وجه لي هذا السؤال من قبل عدد من الصحفيين العرب والاجانب، منهم وكالة C.N.C الامريكية، والان أرجو اعفائي من الرد، لان لصدام عيوناً واذاناً كثيرة في القاهرة! اجبته شكراً دكتور لويس: فهمت قصدك.. فهمته جيداً، وفعلاً كانت السفارة العراقية في القاهرة في منطقة الزمالك الراقية وكراً للمخابراتيين العراقيين وفيها حسب التعريف الاستخباراتي (محطة القاهرة) لكن اجهزة المخابرات المصرية كانت تلاحقهم وتتابع نشاطهم وكشفت محاولات كثيرة لاغتيال عدد من الشخصيات العراقية الذين يقيمون في القاهرة، من ضمنهم الوزير العراقي السابق احمد الحبوبي والضابط المتقاعد عرفان وجدي.

هل كان صدام عميلاً لـ C.I.A؟

هذا السؤال تحاورت فيه طويلاً مع د.سليمان المنذري الخبير العراقي الاقتصادي لدى جامعة الدول العربية في القاهرة، قال: لااستبعد، فالحرب العراقية-الايرانية كشفت عن وجود (علاقة) لصدام حسين مع C.I.A ووزارة الخارجية الامريكية، ولفت نظري قائلاً، عد الى الوراء، الى انقلاب شباط ١٩٦٣، واسأل عن ارتباطات بعض من ضباط الحركة مع الوكالة الاستخبارية المذكورة، ثم ذكرني د.المنذري بما كشفه خالد النجل الاكبر للزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر، قال في اوائل الثمانينيات، بأنه ذهب يوماً الى قصر القبة، المقر الرئاسي لجمال عبد الناصر لرؤية والده في امر ما، وعند دخوله الى غرفة مدير مكتب (الريس) حيث اشار سامي شرف الى الضوء الاحمر المشتعل فوق باب المكتب، الذي يمنع الدخول اليه، وهنا سأل خالد من موجود مع والدي؟ اجابه شرف: جورج بوش (الاب) الذي كان انذاك مديراً لـ C.I.A قبل ان يصير رئيساً للولايات المتحدة الامريكية ومعه: واحد عراقي اسمه صدام التكريتي..!

في مديرية الامن العامة وقصر النهاية

كان صدام كثير التردد على مديرية الامن وبخاصة ابان فترة (ناظم كزار ثم فاضل البراك وكانت عدة كاميرات مثبتة حول مكان احتجاز السياسيين المعارضين تنقل الصورة والصوت الى مكتب مدير الامن العام اولا باول وعلى مدار الليل والنهار كان صدام يعجبه ان يتفرج علينا من خلال هذه الكاميرات وهي من نوع (زايس) الالمانية الشرقية وكانت تستخدم في المعتقلات السوفيتية في هذا البلد، وكان صدام وفق ماحدثني به- صديق امني) يفرح حين يرى هذا الكم الكبير من المعتقلين ويحزن في الوقت نفسه ان هذا الكم ينمو ويتزايد فذلك يعني عنده ان المعارضة لنظامه وحكمه موجودة فعلاً، وكان ناظم كزار يؤيد وجهة نظر صدام هذه مؤكداً عليه ان مديرية الامن العامة ستطولهم جميعاً والقضاء عليهم امر لايستحيل: على رجالك سيدي.. وسوف ترى..شديد الغرور ويكاد في مواقف معينة يكون اكثر عنفاً من سيده واستاذه ولتأكيد ولائه، كان يعرض على سيده هذا اخر مبتكرات التعذيب الجسدي للمتعقلين مستخدماً كلمات تكريتية اللفظ..

خطة ماكرة

وبعد مضي عدة شهور علي في معتقل الامن العامة تعرضت خلالها الى انواع شتى من التعذيب الذي لايطاق وكسا جسدي ورأسي (جرب القمل(واذا بـ حاكم الامن العامة يستدعيني ليلاً الى مكتبه.. كان اسمه (مجيد السامرائي، وكانت عائلته تسميه (مجودي) وكنت قد علمت انه كان يسعى الى الزواج من ابنة عمتي، طالبة الصيدلة.. حذرني (مجودي) بهمس: صائب سيتم اطلاق سراحك غداً في الصباح.. ولكن ليس معنى ذلك ان كل شيء انتهى فليس في عرف هذه الدائرة (الامن العامة) مايعرف بـ عفا الله عما سلف، انهم قد وضعوا خطة بأمر من صدام لمراقبة تحركاتك، ومع من تلتقي، بعد ذلك يعيدونك الى المعتقل، نصيحتي: اختف في مكان ناء او اهرب من العراق، وشدد قائلاً لاتقل اطلاقاً انني قد التقيتك.

فماذا كانت النتيجة؟ لقد اطلق سراحي فعلاً، لكنهم بعد اسبوع اعادوني مكبلاً الى قصر النهاية هذه المرة.

وهل يخفى القمر؟

وفي احد يام (١٩٧٢) شتاء استدعاني صدام فقد كان كثير التردد على هذا المعتقل وبخاصة ليلاً، وكان يفضل تناول عشائه فيه بصحبة طه الجزراوي وعزت الدوري وبرزان التكريتي وناظم كزار ومحيي الدين مشهدي واخرين لااتذكرهم..

وقفت امامه مباشرة وكل هؤلاء حضور وقد تم اللقاء في غرفة خاصة به في الطبقة العلوية من القصر..

سألني ساخراً: هل تتذكرني؟ اجبته بما يرضي غروره وعنجهيته: وهل يخفى القمر!؟ ولقد لاحظت انه انتشى بهذا الاطراء و(ام العلل) عند صدام، هو عشقه للاطراء والتعظيم.. ومن هذه النزعة وجوب ان يخضع الكل اليه وتأليهه واعتبار نسبه العشائري (البوناصر) سيد الانساب واجودها بين الاقوام والعشائر، وهذه واحدة من ابرز نزعاته الاستعلائية، وخاصة قبل ان يعلن نقل سجل نفوسه الى سجل ال البيت..

في اللقاء المذكور خاطبني مهدداً وبعدوانية متحفزة كتحفز ذئب جريح للهجوم على خصمه، قال: شوف صائب، ايام القاهرة ومجدكم (الرابطي) ويقصد-رابطة الطلبة العراقيين في القاهرة، تلك الايام ومزاياها وعزها، كلها راحت وصارت في خبر كان، سأحطم رؤوسكم واحداً اثر واحد بهذه (القندرة) مشيراً الى حذائه او احطم رؤوسكم العفنة هذه، جماعات.. جماعات وعند لفظة هذا (المصطلح) وجه نظرة الى طه الجزراوي ليؤشرها في ذهنه ويأخذها في اعتباره فهي تعني بمثابة تخويل للجزراوي للأخذبها في محاكمات المعارضين، وقد اومأ الجزراوي برأسه واصدر حركة من عينيه تعني انه فهم الاشارة وابعادها، ومن هذه الابعاد انه سيكون الجزار المقبل والخاص للسيد النائب.

وراح صدام، اضافة الى التهديد والوعيد بتصفية زمر المتآمرين في استخدام تشكيلة من الالفاظ النابية ضد المتآمرين، من القي القبض عليهم ومن سيجلبون لاحقاً حتى وان يكونوا في اقصى حافات الكرة الارضية، الفاظه هذه كانت ذات نكهة تكريتية ساخنة وفاقعة الالوان، فاقت كل ماهو معروف ومتداول في قاموس البذاءة والسفر القذر للزمن مذ بدأ.. وكان يردد خلال حديثة، كان يؤكد: انه يعرفنا جيداً، واحداً، واحداً.. قائلاً: جميعكم بلا اصل ولا عائلة، امهاتكم وزوجاتكم وبناتكم، كلهن عاهرات، وزوجات الضباط منكم، هن متاع لجنودهم والا لماذا عدد الجنود عندنا كبير والشوارع مليانه بالمتشردين؟ وهنا وجه لي سؤالاً مباشراً: اليس ماقوله صحيحاً ام لا.. هه اجب.. اجبت هذا القهار المقهور في آن واحد.. انت اعرف سيدي..!

عند ذلك، انهى الحديث وقال: سأراك ثانية لربما، وامر باخراجي من الغرفة، قائلاً اخرج من هذا المكان انت في رأي مدنس..! وبعد مضي بضع ساعات كنت اتوقع امره باعدامي لكنهم اعادوني الى الزنزانة التي تقع في القاطع / الممر الوسط من معتقل قصر النهاية، كان ذلك حسب ماعلمت من حراسي، بأمر منه.. قالوا لي انت محظوظ فقد هيانا موقع اطلاق النار عليك، لان امر السيد النائب يجب ان ينفذ بدقة وسرعة والا سنروح نحن بدلاً منك او معك..!

وجدت احمد طه العزوز بانتظاري متلهفاً لسماع اخباري. اجبته، بما قل من الكلام ويفيد، ماقاله الحجاج في خطبته المشهوره في مسجد الكوفة: اني ارى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها.. موضحاً له اننا في رأي النائب دماء في حكم المهدورة..المستباحة.. زمر متآمرة خسيسة اولاد زنا وخطيئة..

رد علي العزوز.. العميق في الفكر و(التنرفز) قائلاً: لقد ابتدأت اذن نظرية المؤامرة والحصاد لامحالة ات في القريب. انه على بعد امتار ضئيلة منا. ولم أشأ مناقشته لاني كنت في (ارقى) درجات الانحطاط والاحباط..

انا شاهد عيان

لقد كنت شاهد عيان على سلوك صدام وقراراته الدموية، فلقد ابتدأ موسم الحصاد، الذي كان يتم في حديقة قصر الرحاب الملكي، ذات الحديقة التي قتل على ارضها الرطبة صبيحة يوم الاثنين ١٤ تموز ١٩٥٨ الملك فيصل الثاني وولي عهده الامير عبد الاله وعدد من الاميرات وخدم وحشم القصر وعناصر من افراد الكتيبة المكلفة بحماية هذا القصر ومن فيه، وابتدات عملية حصاد المتآمرين باعضاء من حزب الدعوة الاسلامي والحزب الشيوعي (الكفاح المسلح) وضباط كبار وشيوخ عشائر جنوبية ومواطنين اكراد وتركمان.

لقد كانت سلسلة اعدامات يومية متصلة في قصر النهاية، كنت اعتبرها بمثابة رسالة مباشرة موجهة لي ولغيري من الحاكم الامر الناهي سيد اكوان واسوار بابل القديمة الجديدة..

استمرت سلسلة الاعدامات وتواصلت حتى سقوط النظام وسقوط صنمه في ساحة الفردوس وفي معتقلات الفضيلية والرضوانية وحاكمية المخابرات في الكاظمية ونقرة السلمان في ٢٠٠٣/٤/٩

ولابد ان اسجل اخيراً، لا اخراً، ان في ذاكرتي فصول اخرى عديدة مطمورة تحت غبار الزمن وراء الجدران والقضبان الغليظة التي خنقتني على مدى (٩) سنوات واكثر.

واسجل هنا ايضاً توثيقاً تأريخياً ماقاله لي صديق (شاهد عيان..) وصيف صدام عند لجوئه الى الاعظمية قبيل هروبه الى تكريت يقول: بدا لي منهوك القوى، محبطاً، ذليلاً، طلب من الجميع الذي احاط به قائلاً: لاتتفرجوا علي كل شيء خلص، وهذا مايعزز تصريح (محمد الدوري) الذي كان آنذاك مندوب العراق الدائم لدى منظمة الامم المتحدة امام حشد من الصحفيين والدبلوماسيين..

خلاص ياسادة: اللعبة انتهت.

دعوة الى تشكيل منظمات لحماية الطفولة

بابل / مكتب المدى / اقبال محمد

تمتلئ بهم الشوارع، يعملون في مهن قاسية ويحصلون على دنانير معدودات .. أقرانهم في المدارس يقرأون ويتعلمون الرياضيات ويتغنون بالوطن الحبيب ويرسمون لوحات العراق والمستقبل السعيد فمن المسؤول عن رميهم في الشوارع؟

المدرسة ام البيت ام الدولة؟

من المسؤول عن عملهم في مهن لا تليق وتناسبهم كأطفال ؟

لتسليط الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة التقت (المدى) مجموعة من الأطفال العاملين وقسماً من أولياء الأمور وباحثاً اجتماعياً والجهة المسؤولة عن العمل .

الصبي رشاد محمد (١١سنة) بعمل في ورشة تصليح سيارات قال تركت المدرسة لإعالة والدتي لان والدي متوفى، اعمل منذ الصباح ولغاية المساء في عمل قاس وصعب لقاء اجر بسيط أستطيع به مساعدة والدتي

الطفل سامر سعيد، امتهن بيع الموز في تقاطع الشوارع (١٠ سنوات) قال انا ابيع الموز صباحاً واذهب الى المدرسة مساءً اتناول طعامي في الشارع. اذهب الى المدرسة بملابس العمل اجبرني والدي على العمل، يحاسبني ويضربني اذا لم اكسب جيداً

قساوة الزمن والأهل

الطفل سالم محيي صاحب عربانه صغيرة لحمل البضائع ، العمر ١١ سنة أشار الى ان اخوانه في المدارس يحملون حقيبة المدرسة التي وزعت عليهم مجاناً ويضحكون ويمرحون، الا انه يدفع عربانته الصغيرة ويحمل بدل الحقيبة بضائع المتسوقين . سألته من المسؤول فاجاب: امي متوفاة وابي لا يعرف الرحمة، قاسي القلب دائماً يقول ان المدرسة (ما توكل خبز) بودي ان ارجع الى مدرستي وأصدقائي.. لكن صاحب واحمد وعقيل وباسم ومعين ، أسماء اولاد لا تتجاوز أعمارهم الثانية عشرة وهم جميعاً أصحاب بسطات صغيرة واحد يبيع الجواريب، والاخر يبيع معاجين الأسنان، وثالث يبيع الأكياس النايلون .. وهكذا اما كان من الأجدر ان يكونوا في المدرسة؟

السيد قاسم حسين عباس أب لأربعة أطفال، قال ان هذه الحالة موجودة منذ القدم، ولكن خلال العطلة الصيفية فقط إذ كان والدي يودعنا عند أصدقائه المخلصين من أصحاب المهن لغرض تعلم مهنة ما، واعتقد الان جازماً انه أراد ان يتخلص من شقاوة طفولتنا، وكنا نعمل في المحال من دون اجر اما اليوم فأصبحت ظاهرة واسعة وخطرة.

أسباب الظاهرة

وقال الباحث الاجتماعي علاء محمد: ان هذه الظاهرة منتشرة في دول العالم الثالث علماً ان جميع قوانين العمل لا تجيز عمل الاطفال وتفرض عقوبات صارمة ولكن هذه الظاهرة ومنذ سقوط النظام بدأت تأخذ شكلاً غير طبيعي إذ ترك الآلاف من الأطفال المدارس وانجرفوا في صفوف العمال، وهذا اخطر جداً لأسباب اجتماعية وتربوية وقراءة متفهمة لقانون العمل رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧ وأمر سلطة التحالف ٨٩ الصادر بتاريخ ١٣ ايار سنة ٢٠٠٤ المتضمن تعديل الفصل الثاني الذي ينص على منع عمل الأطفال وان الحد الأدنى لعمل الأحداث هو ١٨ سنة ويجب ان لا يعملوا في مهن تكون بطبيعتها او ظروف ممارستها مؤذية لهم او تكون خطراً على سلامتهم او أخلاقهم وان وزارة العمل والشؤون الاجتماعية والتشاور مع منظمات العمال او أصحاب العمل ستقوم باتخاذ الإجراءات القانونية ضد المخالفين او المسؤول عنهم.